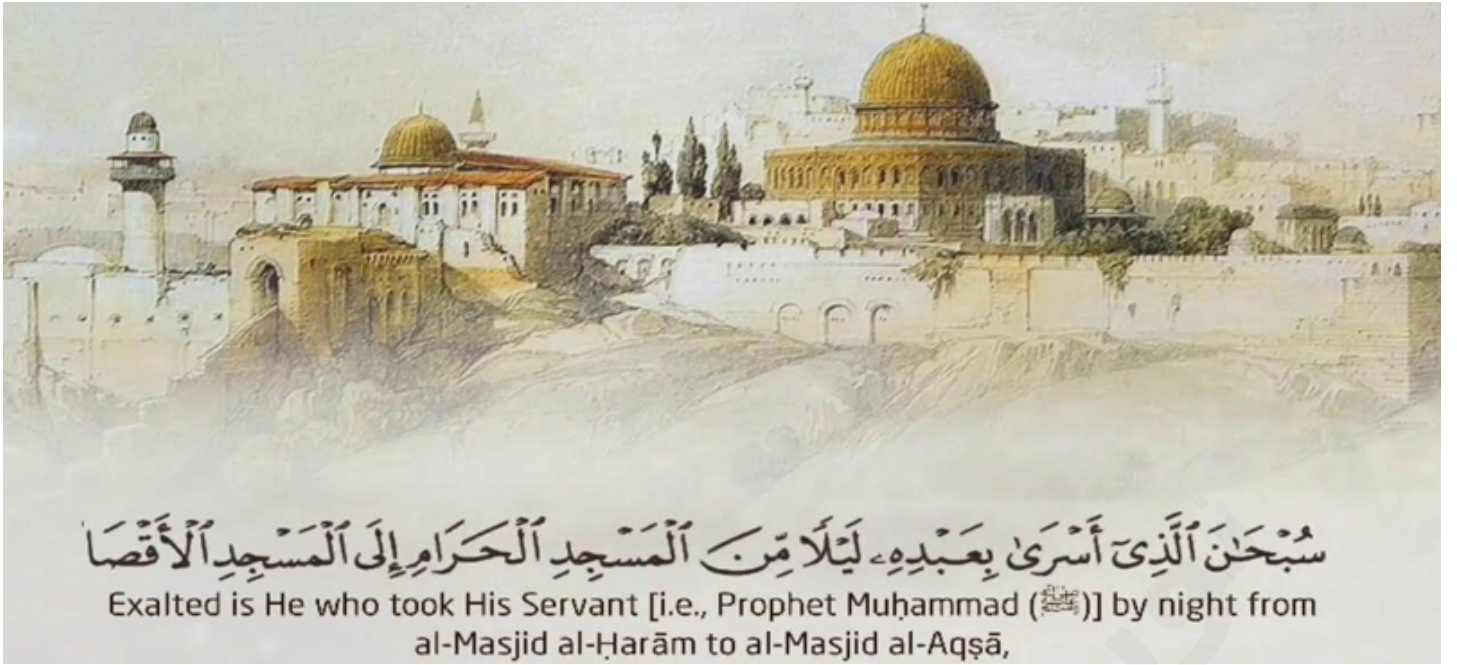




تأملات في سورة الإسراء

04 برنامج أمل وانتصار

محاضرة في الأردن

2024-02-05

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، وبعد:

متى كان الإسراء والمعراج؟

أيها الكرام؛ فإن المسلمين في شهر رجب يستذكرون ذكرى الإسراء والمعراج، والحقيقة أنه لا يوجد إثبات مؤكد لتاريخ الإسراء والمعراج، لكن كثيراً من المحققين ذهبوا إلى أنه كان في 27 من رجب، وقد اتفقوا على أنه كان قبل الهجرة وبعد البعثة، وأنه كان عقب ما سقى فيما بعد بعام الحزن، عام الحزن عام أطلقه كتاب السيرة على عام فقد فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- سنده الداخلي الأول خديجة -رضوان ربي عليها-، وفقد سنده الخارجي عمه أبا طالب الذي كان يذود عنه ويدافع عنه ويحميه من أذى قريش، فذهب إلى الطائف يلتمس من أهلها النصرة، فما كان من أهل الطائف إلا أن أذوه ورموه بالحجارة، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى أوى إلى حائط؛ إلى بستان ودعا بالدعاء المعروف الذي ختمه بقوله: "إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى"، بعد ذلك كان الإسراء والمعراج بغض النظر عن تاريخ الليلة 27 من رجب أو غيرها، فقال المولى -جلّ جلاله- في سورة الإسراء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بُرُكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِن مِّمَّا نَبَيَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
(1)

(سورة الإسراء)

الربط بين أواخر سورة النحل وبداية سورة الإسراء:

وأريد أن أرجع قليلاً إلى نهاية سورة النحل، قبل الإسراء عندنا سورة النحل، ومعلوم عندكم أن هناك علماً في القرآن اسمه (علم المناسبات) بحيث تربط أول السورة بآخرها، وآخر السورة بأول السورة التي تليها، فإذا نظرنا في نهاية سورة النحل وجدنا قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلٰٓئِلٍ مِّمَّا يَتَكَبَّرُونَ (127)

(سورة النحل)

هذا عام الحزن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ لِلَّهِ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَلَٰذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ (128)

(سورة النحل)

كيف كان الله معه بعد ذلك؟ (سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى يَعْقِبُهُ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا) دائماً بعد المحن هناك منج ربابية، وبعد الشدائد هناك شدات إلى الله تعالى هذه سنة الله في الأرض، لذلك ختم سورة النحل بالأمر بالصبر لأن الوعد قادم، وابتدأ سورة الإسراء بالمكافأة التي نالها النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ استجاب إلى ربه فصبر ولم يضق صدره بمكرهم، فجاءت رحلة الإسراء تسليية لقلبه -صلى الله عليه وسلم-، وإيضاً من الله تعالى بأن الله معك وبأنه ناصر لك ومؤيدك تشجيعاً له، تسليية له، مواساة له، لذلك خُتمت الآية بقوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) مع أن ما يُتهم في ذكرنا أن يكون ختامها لو لم تكن نعرفها (إن الله على كل شيء قدير) فهي تتحدث عن معجزة (سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى يَعْقِبُهُ) فهي معجزة، لماذا الختام (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)؟ لقد سمعنا قولك ودعاءك في الطائف، وأبصرنا خالك وما فعلوه بك فأريناك هذه الآيات الكبرى وأسرينا بك هذا الإسراء العظيم وعرجنا ذلك المعراج المقدس (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، فالله تعالى يسمع دعاءنا الآن عندما ندعو ونتألم لما يحل بإخواننا، ويبصر حالنا ويبصر هواننا على الناس، ورحلتنا إلى بيت المقدس وعد من الله وعرجونا إلى السماء بالصلة بالله، فالصلاة معراج المؤمن أيضاً أمر واقع، فنحن لنن كان زمن المعجزات قد ولى لكن الروح تسري فتسري إلى بيت الله الحرام، وتسري إلى مكة المكرمة، وتسري إلى المدينة المنورة، وتسري إلى بيت المقدس، ونعرج إلى ربنا من خلال الصلاة: الصلاة معراج المؤمن، لذلك فُرضت الصلاة في المعراج لأنها معراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات، فقال: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

معنى التسبيح و لماذا بدأت سورة الإسراء بالتسبيح؟

أحبائنا الكرام (سُبْحٰنَ) التسبيح والتنزيه؛ أن أنزه الله عن أن يشبه شيئاً من مخلوقاته في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاطِرٌ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ اللَّغَمِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُم فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)

(سورة الشورى)

هذا هو التسبيح، الله تعالى حاشاه أن يكون مثل مخلوقاته في ذاته ولا في صفاته، فأنت تسمع وهو يسمع لكن أين سمعه من سمعك؟! سبحان من وسع سمعه الأصوات! ونحن لا ندرك ذاته فمن باب أولى أننا لا نستطيع أن ندرك كيف صفاته فنغوص الأمر إليه، فنقول: إنه يسمع ويبصر، لكن كيف يسمع ويبصر؟ لا ندري لأننا لا ندرك الذات أصلاً، فكيف ندرك الصفات؟! تماماً كأن أقول لك مثلاً، إذا قلت لك: يد الطفل، مباشرة يتبادر إلى ذهنك تلك اليد الجارحة التي فيها خمسة أصابع، كلنا تبادر إلى ذهننا اليد، إذا قلت لك الآن: يد الإبريق، ما يتبادر إلى ذهنك أبداً الخمسة أصابع يتبادر إلى ذهنك تلك الحلقة التي توضع على الإبريق ليحمل بها، لماذا أدرك الآن صفة اليد؟ لأنني أعرف الذات، لكن لو قلت لك الآن: يد الباب، تدرك أنها قبضة الباب، لو قلت لك: يد الحائط، يد الحائط؟! ما عندك تصور متى كان لحائط يد، فالله تعالى له صفات صفاته عليّة -جلّ جلاله- نترّبه أن يشبه فيها أحداً من خلقه، وله أفعال وحاشاه -جلّ جلاله- أن يشبه أحداً في أفعاله، فنحن نرحم هذا فعل، فنحن على ابننا ونضمه إلى صدرنا هذه رحمتنا، لكن كيف رحمة الله؟ أعظم مما نتصور، وأكبر مما نتخيل، فسبحان أي نحن ننزه الله، ننسّجه، ننزهه عن كل نقص أو عن كل شبه بمخلوقاته في ذاته وصفاته وأفعاله، لكن متى نقول أكثر نحن سبحان الله؟ إذا رأينا ورده جميلة خلق من خلق الله مبدع، نقول: سبحان الله! نظرنّا في البحر في تصوير علمي فأرينا الأنواع من الأسماك نقول: سبحان الله! أو رأينا فعلاً من أفعاله عجيلاً -جلّ جلاله- كأن أهلك عدواً باطشاً، كأن أهلك مرابطاً كان يُقال فيسمع لقوله فإذا به في فراشه لا يقوى على الحراك، نقول: سبحان الله! فنحن ننسّج الله عند رؤية أمر عجيب، لذلك جاء مطلع الآية بالتسبيح لأن ما بعدها أمر عجيب أن يذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى بيت المقدس في ليلة واحدة ويُعرج به إلى السماء بل في جزء من ليلة، تعطل الزمان أمر عجيب، عجيب عندنا في قوانينا لكنه عند الله كن فيكون، فهو خالق الزمان المكان (سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى يَعْقِبُهُ).

هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد أم بكليهما؟

وقال: **(يَعْتَدِهِ)** لنفي شيء وهو أن يقول قائل -كما يحلو للبعض-: إن الإسراء كان رحلة منامية، أين المعجزة في كونها منامًا؟! أنا اليوم أنام فأرى نفسي في بيت المقدس، فهل أقول أنها وقعت معجزة؟ أين الإعجاز؟ فقال: **(يَعْتَدِهِ)** أي بنفسه و بروحه وجسده -صلى الله عليه وسلم- به أسرى وليست رؤية منامية كما يحلو للبعض أن يفسرها من أصحاب المدرسة العقلانية التي لا تمت إلى العقل بصلة؛ لأن العقل لا ينكر وقوع الإسراء، ولو وقع اليوم في عصرنا أن قال أحدهم: ذهبت إلى فلسطين وعدت في ليلة واحدة، لما قال أحد منا إنها معجزة لأن الظروف تغيرت، فالعقل لا يحيل وقوع ذلك، ولكن العادة كانت تحيله في ذلك الزمن لعدم توفر المعطيات العلمية التي تجعل الإنسان ينتقل رحلة طويلة في وقت قصير، وقد باتي زمان على الناس-والله تعالى أعلم، والله يخلق ما يشاء-فتصبح الرحلة في 10 دقائق من مكة إلى بيت المقدس، اليوم ساعتان ممكن تصبح 10 دقائق، ما يوجد شيء يمنع عقلاً أن يحدث ذلك فقال: **(يَعْتَدِهِ)**، والأمر الآخر أنه لما قال: **(يَعْتَدِهِ)** عظم جانب العبودية، فالنبي-صلى الله عليه وسلم- لو شئت أن تقول إنها معجزة لكان في ذهنا أن يقال: نبيه، برسوله، لكنه قال: **(يَعْتَدِهِ)** لأن أعظم مقام يبلغه الإنسان هو مقام العبودية، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الرحلة العظيمة ما ترك عبوديته لله حاشاه -صلى الله عليه وسلم-، فعاد ليجالس الفقراء، وعاد ليقول: لكنني أفقد جليبي، أين جليبي؟ هذا الفقير الدميم الصورة، وعاد ليقول لما دفنوا امرأة في الليل تُقَمُّ المسجد ولم يعلموه، يغضب ويقول: أفلا أدنتموني؟ فقام فوقف على قبرها فصلى عليها، وعاد لتأخذ الجارية بيده فتقوده إلى حيث شاءت، ما تخلص عن أنه عبد لله، اليوم ربما بعض الناس يذهب إلى بلاد في الغرب ويغيب بها سنين ثم يعود فيستحقر أهل بيته وأهل زمانه وأهل بلده ويشيد بحضارة هؤلاء وثقافتهم ويعلمهم، ولا يجلس مجلسًا إلا ذمنا و انتقص منا ويئن ثغراتنا بينما بين محامدهم و يتغافل عن سيئاتهم وهي زيارة إلى غرب الأرض، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ينتقل إلى غرب الأرض وإنما انتقل إلى السماء السابعة ثم عاد ليجالس المساكين والفقراء لأنه يدرك معنى العبودية، بل إنه -صلى الله عليه وسلم- أعظم من عبد الله، فقال: **(سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)**، وقال: **(لَيْلًا)** مع أن كلمة أسرى تفيد الليل لأن السرى هو المشي ليلًا، لكن قال: **(لَيْلًا)** للتأكيد.

أهمية المسجد الأقصى و الربط بينه وبين إفساد بني إسرائيل :

(مَنْ لِمَسْجِدٍ لَخَزَامٌ إِلَى لِمَسْجِدٍ لَأَقْصَا) وهذه إشارة إلى أن بوابة السماء في هذا المسجد العظيم وأنه أمانة في رقاب المسلمين وأن عليهم أن يحموه وأن يناصروه، **(لِذِي بُرْكَتًا حَوْلَهُ)**، ونحن في هذا البلد الطيب بركتنا لأننا حول المسجد الأقصى، والشام مباركة لأنها حول بيت الله المسجد الأقصى **(لِثَرَّةٍ مِنْ عَائِنَتَا إِيَّاهُ هُوَ لَشَمِيعٌ لَتَصِيرُ)**، ثم يقول المولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَائِنَتَا مُوسَى لَكَيْتَب وَحَعَلْتُهُ هَدَى لَيْتَبِ إِسْرَئِيلَ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (2)

(سورة الإسراء)

هنا أيها الأحباب فورًا هناك ربط، قضية المسجد الأقصى لها علاقة مباشرة بإفساد بني إسرائيل، فجاء الحديث عن بني إسرائيل عقب معجزة الإسراء في إشارة إلى أن المسلمين مأمورون بحماية المسجد الأقصى وأن هؤلاء سيفسدون فيه، إلى أن قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَئِيلَ فِي لَكَيْتَبٍ لَتَفْسِدُنَّ فِي لَأَرْضٍ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكَ كَبِيرًا (4)

(سورة الإسراء)

القضاء هو حكم، والقاضي يحتاج إلى بينات وشهود إلا أن الله تعالى لا راد لقضائه فهو لا يحتاج بينة ولا شهود، فإذا قضى فقضاؤه نافذ، **(وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَئِيلَ)** بنو إسرائيل؛ **إسرائيل هو يعقوب** -عليه السلام- ومعناه في العبرية عبد الله، بغض النظر عن تسميتهم به دولتهم المزعومة عدوًا وطلغًا وهناتًا، لكن أصل الكلمة هو يعقوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ لَلطَّعَامِ كَانَ جَلًّا لَتَبِتَ إِسْرَئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ لَتُورَةُ قُلْ قَاتُوا بِلَتُورَةِ قَاتُوا لَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)

(سورة آل عمران)

وهو يعقوب، فهم بنوه، وهذه ليست مدحًا لهم وليست ذمًا وإنما هي توصيف، مبدئيًا هي توصيف، ففي العصور التي كانوا فيها في طاعة الله وفق كتابهم التوراة مُدحوا على ذلك، وعندما تخلوا عن دينهم وعانوا في الأرض فسادًا ذُموا على ذلك، وفصلهم الله تعالى وقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لكن تفضيلهم لا يقتضي الأفضلية، فليس كل مفصل فهو الأفضل، فأنت قد يكون لك ولدان أحدهما متفوق جدًا فتتركه لمدرسته يدرس وينجح وتأخذ أعلى العلامات في الثانوية، ولديك ولد آخر مقصر فتفضله بمجموعة من المدرسين الخصوصيين وتدفع له الآلاف المؤلفة، فهل هو أفضل عندك من الأول؟ لا، فأنت قد تفضل المقصر بشيء فلا يعني أنه الأفضل، والله تعالى فضلهم فأرسل إليهم الأنبياء، فما الذي كان منهم؟ قتلوا الأنبياء، فهل هم الأفضل بقتلهم الأنبياء؟ معاذ الله، لكن الله فضلهم فكانت التفضيل وبالأعلى عليهم، ونحن أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- قد فضلنا الله تعالى بنبي هو خاتم النبيين، وهو أعظم النبيين، وهو صاحب ذكرى الإسراء والمعراج، وهو من هو، فإذا اتبعناه فنحن الأفضل- إن شاء الله-، وإذا قُضِرنا وتركتنا منهجه فنحن لسنا الأفضل، فالقضية لا علاقة لها بمدح هؤلاء ولا بدمهم وإنما هي توصيف، فمن يتبع الهدى فهو مفصل عند الله وهو الأفضل، ومن لا يتبع فقد يكون مفصلًا ثم لم ينفعه هذا التفضيل بشيء، فيكون خسارًا وبالأعلى عليه، **(وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ)** في كتابهم، في توراتهم، وهؤلاء بنو إسرائيل كان في كتبهم ما يبين بجلاء وبوضوح أنه سيأتي نبي في آخر الزمان، وأنه يجب عليكم أن تؤمنوا به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْزُبُ عَنْهُمْ ۖ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

كان أحدهم من يهود كان يقول: والله إنني لأعرف محمدًا في كتابي أكثر مما أعرف ابني، أي أنا ابني في ظن منه أن يكون ابني، لكن صفة محمد- صلى الله عليه وسلم- في كتبنا واضحة، وكانوا يقولون للعرب:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَشْتَكُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (89)

سيأتي نبي في آخر الزمان وسنؤمن به وسنقتلكم قتل إرم وعاد للمشركين، **(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)** أي ليس هناك أسوأ عند الله ممن يعرف الحق ويحرفه، قد يضل الإنسان عن الطريق فلا يعرفه، وهذا خطأ كبير لكن الأعظم منه من يعرف الطريق ثم يجحد عنه، وهو ما فعله كثير من بني إسرائيل، فقال تعالى: **(وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ)** هذه اللام جواب قسم، كأن الله تعالى يقول: (وقضينا إلى بني إسرائيل والله لتفسدن في الأرض) قسم، أو أن القضاء نفسه يحمل معنى القسم فجاء الجواب بمعنى القسم **(لَتُفْسِدُنَّ)** مع التوكيد نون التوكيد الثقيلة أي الإفساد واقع؛ هذا قضاء الله، **(لَتُفْسِدُنَّ)** هذا قضاء الله لا يعني أنه رضيه، ولا يعني أنه يحبه، ولا يعني أنه يأمر به ولكنه قضاء- جلّ جلاله- لحكمة عظيمة عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها.

(لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلَتَعْلَنَ غُلُوبًا كَبِيرًا) الإفساد أن تخرج الشيء عما خُلق له، هو خُلِقَ للصلاح، ربنا -عزّ وجلّ- خلق الماء صالحًا للشرب يخزن في الأرض، له مخازن في الجبال ومخازن في الأرض ونشره عذبًا زلالًا، فإذا أقمنا معملًا لصناعات بلاستيكية عند مصادر المياه ولوثنا المياه أفسدناه، المرأة ربنا-جلّ جلاله- خلقها لتكون أمًا وزوجةً وأختًا وجدة في المستقبل، ولتكون مصانة وليكون لها الطهر والعفاف والخير والبركة، فإذا جعلناها إعلاتًا لسلعة تجارية فقد أفسدناها، ربنا ما خلقها من أجل أن تعلن تجاريًا وتلبس ثيابًا فاضحة لتندك لتشتري سلة قمامة، ربنا لم يخلقها من أجل ذلك، خلقها لتكون مكرمة معززة في بيتها لكنهم أفسدوها، **فالإفساد أن تخرج الشيء عن أصله إلى ما يفسده،** وهؤلاء بنو إسرائيل أفسدوا في الأرض **(لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ)** أهلكوا الحرث والزرع والنسل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَإِذْ تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (205)

فأهلكوا الحرث، وأهلكوا النسل، وأهلكوا الأولاد، وضربوا المستشفيات، وما تركوا شيئًا إلا أفسدوه، المنحرف عن منهج الله فساد بإفساد كله، والملتزم بمنهج الله يُصلح، فقال: **(وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلَتَعْلَنَ غُلُوبًا كَبِيرًا).**

تفسير العلماء لوقت إفساد بني إسرائيل:

متى كانت هاتان المرتان؟ كثير من المفسرين ذهبوا إلى أن تلك المرتين قد انقضت عهدهما قبل الإسلام، وأن القرآن يتحدث عن شيء تاريخي فقالوا:

- 1-الأول: عندما كان جالوت ثم قتل، ثم سلطه الله -وجالوت ليس مؤمناً- سلطه الله عليهم بعد أن تركوا التوراة، وهم التزموا بالتوراة فترة وكان عندهم التابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ثم انحرفوا عن منهج الله تعالى فسلط الله عليهم جالوت فجاس خلال الديار وقتلهم وأنهى وجودهم إلى أن عادوا إلى ربهم وبعث الله لهم طالوت، وداوود قتل جالوت، قالوا: هذا الإفساد الأول.
- 2- وأما الإفساد الثاني: فكان بعد ربح من الزمن بعد أن انتشروا في الشرق والغرب فجاء بختنصر وقضى عليهم، فقالوا: الإفسادان قد مضى وقتهما وربنا يتحدث عما مضى، وهذا ما عليه كثير من المفسرين، وبعض المفسرين قالوا: لا، الإفسادان هما في حضن الإسلام بعد الإسلام، ربنا يتحدث الآن عما هو كائن وسيكون وليس عما قد كان وانقضى، ولهم في ذلك أدلة:
- أ- الدليل الأول: قالوا إن الله يتحدث عن وعد، والوعد يكون لما سيأتي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا جُلُودَ الْوَيْدَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (5)

(سورة الإسراء)

فيتحدث عن شيء وعدنا به، وما مضى لا يسمى وعدًا لأنه قد وقع وانتهى، فأنا لا أعدك بشيء مضى وإنما أعدك بشيء سيأتي.

ب- والأمر الثاني قالوا: إفسادهم قبل الإسلام لم يكن مرتين، أي قتلهم الأنبياء إفساد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجُوزُنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَنْخَرُقَ أَقْبَاؤُا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يُمُوسَى جَعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)

(سورة الأعراف)

عبدوا العجل، ما تركوا شيئاً إلا وأفسدوا به، فأين الممرتان بالموضوع؟ هي إفسادات متكررة وكلها كبيرة.

ج- والأمر الثالث قالوا: ربنا -جلّ جلاله- يقول: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا) فيمدح هؤلاء العباد، ولا يمدح بختنصر ولا جالوت وهما غير مؤمنين أصلاً، فهل يسميهم الله عباداً لنا؟ لأن العباد في الأصل لا يُطلق إلا على عبد الشكر، وأما العبيد فهم عبيد القهر، ربنا -جلّ جلاله- يوم خلقنا قهراً بأشياء فنحن كلنا عبيد له، أي أنت قطر شربانك التاجي أنت عبد لله به؛ لأنه إذا ضاق جِلْطَة والعباد بالله -نسأل الله العافية- نحن مقهورون، أنت تحتاج شربة الماء فأنا وأنت عبد، وأنت تحتاج لثُخْر شربة الماء فنحن عبيد لله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ ضَلِيلًا فَلْيَنقُصْهُ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)

(سورة فصلت)

لكن وعباد الرحمن هم عباد الشكر الذين لما كُلفوا اختاروا، اختاروا طوعاً أن يطيعوا الله هؤلاء عباد وليسوا عبيداً، نعم وردت بعض الآيات فيها عبادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ۚ السَّيِّئِلِ (17)

(سورة الفرقان)

قالوا: هذه في الآخرة؛ لأنه في الآخرة لم يعد هناك قهر وشكر كله مقهور، أما في الدنيا الغالب أن العباد للشكر والعبيد للقهر، فقالوا: قوله تعالى: **(تَعْتَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا)** ثم ينسبهم لنفسه **(لَنَا)** يدل على أن من سيقضي على هذا الفساد ليس جالوت وليس بختنصر وإنما من سيقضي عليه هو عباد الله الموجدون المؤمنون، وهذه الأدلة قوية الحقيقة في بابها، ويستعرضها الشيخ الشعراوي -رحمه الله- في تفسير سورة الإسراء بشكل جيد هذا ملخصها، فقالوا: الإفسادان سيأتيان: **فَالأول هو ما حصل منهم من يهود بني قينقاع وقريظة** لما أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المدينة، لما دخل المدينة سالمهم وأبرم معهم صلحًا ومواثيق ثم إنهم كعادتهم نقضوا المواثيق وخانوا العهود فأجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة، ثلاثة أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقوله تعالى: **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا)** أي وعد الإفساد الأولى التي كانت منهم بنقض العهود **(تَعْتَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى نَاسٍ شَدِيدٍ)** هم جيش النبي -صلى الله عليه وسلم-، **(فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ)** أي تتبعوكم في كل مكان، وهذا جرى بإجلائهم عن المدينة بشكل كامل **(فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ)** وكأنه جاس من بحث وتبعه حتى لم يبق له أثر **(فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا)** هذا الوعد الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا (6)

(سورة الإسراء)

(ثم) للترتيب على التراخي، أي امتد زمناً من عهد النبوة إلى أن جاء ال67، فكان من جديد أن علوا هذا العدو الذي سماه الكبير-جلّ جلاله- **(عَلُّوا كَيْبَرًا)** تخيل الكبير يسمى العدو كبيراً فما عساه أن يكون؟! قال: **(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ)** من الكر والفر؛ أي الغلبة من جديد؛ وهذا قانون رباني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)

(سورة آل عمران)

والمداولة لا تكون بين مؤمن ومؤمن، أو بين كافر وكافر، وإنما تكون بين مؤمن وكافر، المداولة أي تنتقل قيادة الأرض وقوتها من يد الموحدين إلى يد الكافرين، وهذا لا يكون إلا بتقصير من المؤمنين واقرؤوا التاريخ، المسلمون لما كان يضعف حالهم وتنتهي قيادتهم؛ الأندلس، الخلافة العثمانية، الدولة الأموية، اقرأ التاريخ، كلنا عندما كنا متمسكين بديننا حقاً؛ هذه سنة الله في المسلمين، ليس في كل الناس، سنة الله في المسلمين أن الإنسان المسلم عندما يحيد عن دينه يخرج عن خلافة الأرض، وهذا القانون العمري قال عمر -رضي الله عنه-: **"نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله"** القانون العمري، فهمها سيدنا عمر المعادلة، هم بماذا أعزهم الله؟ ربما أعزهم الله بأموالهم وأولادهم ودولهم وقواهم والأمم المتحدة ومجالس الأمن لهم قانون آخر، لكن نحن المسلمين ربنا -عز وجل- أراد أن تكون العلاقة معه مبنية على طاعته، فمتى نصرناه نصرنا، ومتى -والعباد بالله- خذلناه خذلنا، فقال: **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا)**، ثم يقول: **(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ)** انظر إلى الوصف القرآني الذي يناسب الواقع اليوم **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ)** كم الأموال اليوم التي تُدفع من 120 يوم فقط في هذه الحرب؟ مليارات، وقال: **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ)** أي ليست ذاتية وإنما هناك من يمدهم بإرادة الله ليس برصاه -حاشاه- ولا بامرئه لكن يسمح بذلك -جلّ جلاله-، **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ)** هم الآن يعلمون الأجيال، ويعلمون الأولاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمَالٌ وَلْتَبُؤْنَ رَبَّهُمْ لَخَبِيرَةٌ لِّلْذُنُبِ وَتَلْقَيْتُ لِّلصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)

(سورة الكهف)

الدنيا كلها مال وبنون **(وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا)**، **(تَفِيرًا)** أنت تستنفر شخصاً فينفر معك، الآن استنفرُوا الأرض كلها لهذه الحرب، لهم نفي غير طبيعي ينفرون معهم؛ أي ما أكثر من ينفر معهم من المرتزقة ومن مجالس الحقوق...، ما أحد يستطيع أن يوقفهم عند حدهم **(وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ لَذَاتِهَا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَنُعَذِّبَهُمْ وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَنُعَذِّبَهُمْ وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَنُعَذِّبَهُمْ (7)

(سورة الإسراء)

وهم قد أساءوا لكن ربنا-جلّ جلاله- دائماً يفتح باب الخير ثم الشر بأنك مخير؛ لك ذلك ولك ذلك، ما حرمتك الاختيار، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ ۖ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)

(سورة الأنعام)

يكذبون رسول الله، ويقول له: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) فالله لا يغلق بابه -جلّ جلاله-، قال: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفَعِيكُمْ ۖ وَإِنْ أُسَاءْتُمْ فَلَهَا ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ۖ لَأُجْزِيَهُ) وهذه الآخرة ليس بعدها وعد، الآخرة أي الإفسادة الآخرة وليس هي يوم القيامة (الإفسادة الثانية) وعد الآخرة، هما مرتان هذه الثانية، قال: (لَيْسَ ۖ نَوَافِلُكُمْ) الخطاب لبني إسرائيل، (لَيْسَ ۖ نَوَافِلُكُمْ) أي ليجعلوا الذل والهوان والصغار يبدو على وجوهكم وهذا أعظم أنواع الذل، متى ينتقل ذل الإنسان إلى وجهه؟ عندما يكون في أعماق وأعظم أنواع الذل فيظهر السيئ على وجهه، ترى فسمات وجهه توحى بذله وصغاره وهوانه، (وَلْيَدْخُلُوا ۖ لِمَسْجِدٍ) الأقصى الذي بدأت به الآية (إِلَى ۖ لِمَسْجِدٍ ۖ لَأَقْصَا)، (كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) في عهد عمر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- يوم لم يكن من بني إسرائيل كان من الرومان بوقتها، لكن هنا الإساءة هنا الثانية لبني إسرائيل (لَيْسَ ۖ نَوَافِلُكُمْ وَلْيَدْخُلُوا ۖ لِمَسْجِدٍ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) كما فتحها عمر، وكما حررها صلاح الدين، يدخل عباد الله تعالى في الحرب الأخيرة مع بني إسرائيل والصهاينة والمعتدين وسمهم ما شئت، يدخلون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة، (وَلْيَنْتَبِزُوا ۖ مَا عَلَوْا تَنْبِيزًا) (مَا عَلَوْا) لم يقل: (ما علوتم أنتم) فهم علوا لأنهم لا ينصرون إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صُرِيتَ عَلَيْهِمْ ۖ لَدَّلَهُ أَتَيْنَ مَا نَفَعُوهُ إِلَّا يَحْتَلِي ۖ مِّنَ اللَّهِ وَحَتَّىٰ ۖ مِّنَ النَّاسِ وَتَاءً وَيَعَصِبَ ۖ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِيتَ عَلَيْهِمْ ۖ لَمَسَكْنَهُ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ
كَأَنُورًا يَكْفُرُونَ يَأْتِيهِ ۖ لَّهُ وَيَقْتُلُونَ ۖ لَأَن ۖ يَبَاءَ يَغْيِرَ حَقٌّ ۖ ذَلِكَ يَمَا عَصَا وَكَأَنُورًا يَغْتَدُونَ (112)

(سورة آل عمران)

فهم بنوا وأشادوا وعمّروا لكن لا في أرضهم ولا بمالههم وإنما بمن أعاد عليهم وأمددهم، (وَلْيَنْتَبِزُوا ۖ مَا عَلَوْا تَنْبِيزًا) أي وليدمروا ويهلكوا، كل ما صنعتموه في تلك الأرض التي ليست بأرضكم وليست لكم بحال، (وَلْيَنْتَبِزُوا) التنبير هو الهلاك والتدمير (وَلْيَنْتَبِزُوا ۖ مَا عَلَوْا تَنْبِيزًا).

فأحبابنا الكرام هذه الصفحة الأولى من سورة الإسراء تلقي الضوء في بدايتها على رحلة الإسراء المعراج سنتحدث عنه- إن شاء الله- في اللقاء القادم، هذه السورة تتحدث عن رحلة الإسراء وتربطها ربطاً متعلّقاً بواقعة اليوم، وقد بينت لكم الرأيين؛ الرأي الذي يقول أن الإفسادتين قد مضتا، والرأي الذي يقول أن الإفسادتين كانتا في حضن الإسلام، انتهت واحدة ونحن الآن في الثانية، ووعد الله هو القضاء على الثالثة، وهذا أمر له مؤيدوه الكثير والحقيقة أن حظه من النظر قوي جداً لما بيّنا من الأدلة الموجودة بأن الله يتحدث عن وعد قادم، وبأن الإفسادتين واحدة قد تمت في صدر الإسلام، والثانية ما يجري الآن في آخر الزمان، ووعد الله تعالى حق والله تعالى ناصرنا ومؤيدنا، ولعل ما نراه اليوم من بداية إساءة وجوههم وظهورهم بهذا المظهر بعد تلك الحرب، إن شاء الله يكون بداية للقضاء عليهم ولبنية في تحقيق وعد الله تعالى بدخول المسلمين المسجد كما دخلوه عهد عمر -رضي الله عنه-، والحمد لله رب العالمين.